المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة

الجمهورية العراقية

المجلد السادس عشر - العدد الثالث ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

WWW.ATTAWEEL.COM

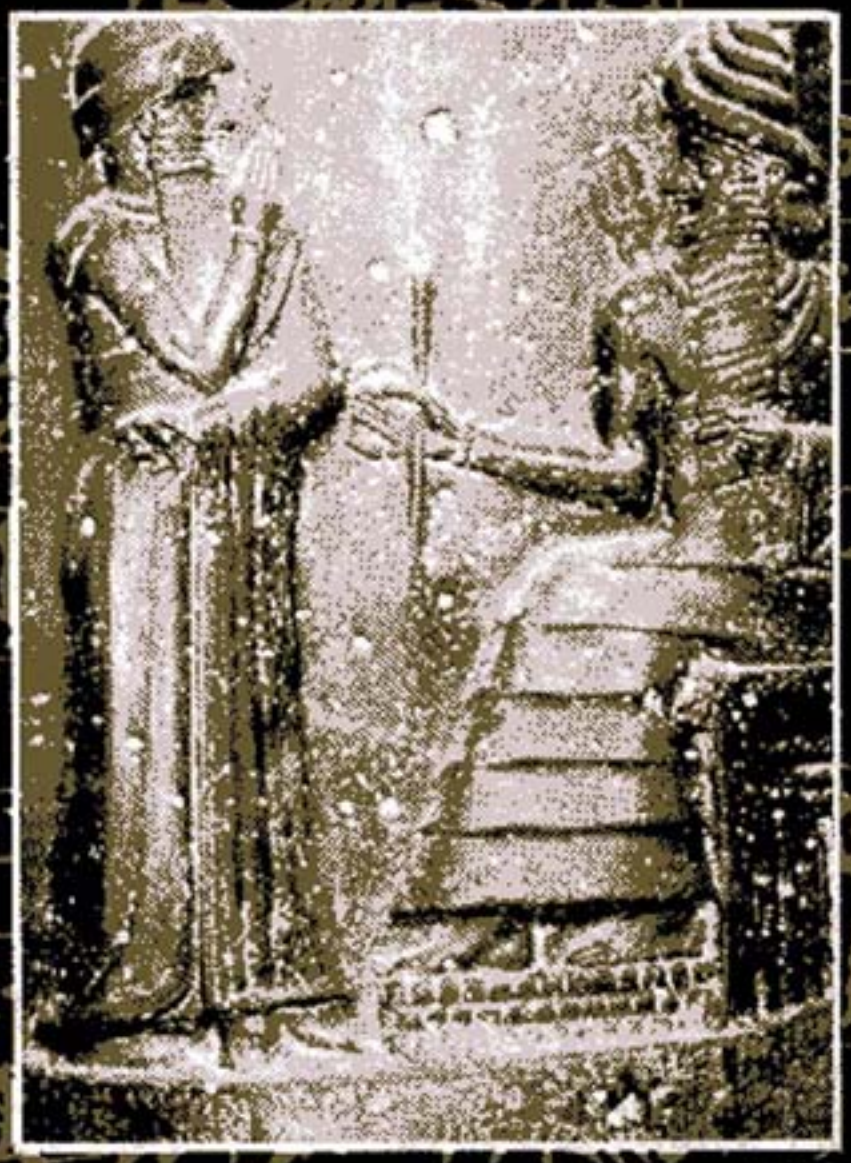

ملف خاص:

حضارة بابل

أسد البابليين محمد

حمورابي
مَلِكُ بَابِل وعَصْرُهُ

تاليف : هورست كلنغل
ترجمة : د. غازي شريف
نشر : دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد

« انا حمورابي ، الملك الكامل ،
لم اكن مهملا او مزعجاً للوي الرؤوس السود ،
الذين قسمهم لي الإله إنليل
واودعني مهمة حكمهم الإله مردوك
لقد بحثت لهم عن اماكن امينة ،
واعنتهم على حلّ مشاكلهم القاسية ،
وجعلت النور يشرق عليهم ،
وبالسلاح الفتاك الذي وهبني إياه الإله زبابا والآلهة عشتار ،
وبالقدرة التي منحني إياها الإله مردوك ،
استاصلت دابر العدو من الشمال الى الجنوب ،
وانهيت الحرب وارحت البلاد ،
وجعلت سكان المدن ينعمون بالصفاء والهناء ،
ولم ادع احداً يرهبهم ،
فنادتني الآلهة العظام ،
فاصبحت الراعي المحسن الذي صولجانه العدالة ،
ونشرت ظلي الوارف على مدينتي ،
وفي احضاني حملت شعب بلاد سومر واكد ،
وقد نعموا بحمايتي ،
وسايستهم بسلاح وحميتهم بحكمتي العميقة ،
لكي لا يظلم القويّ الضعيف ،
ولكي ترعى العدالة اليتيم والأرمل
لقد كتبتُ كلماتي النفيسة على مسلتي
وثبتها امام تمثالي المدعو : ملك العدالة . »(١)

بهذه الكلمات الرنانة المنسجمة بالطبع مع الأسلوب السائد آنذاك قدم حمورابي في ختام مجموعة شرائعه التي اصدرها ، تقييماً شخصياً ، لنفسه ولأهمية ما قام به .

وهذا الكلام وإن جاء كلاماً أدبياً وشعراً من نوع راق ، فانه لم يكن مجرد كلام ادبي . لقد كان حمورابي « شخصية عظيمة بين ملوك بابل » « ومن ابرع الشخصيات في تاريخ العالم كله وأعظم الشخصيات التي حكمت بلاد ما بين النهرين . »

« ان الانتصار على اربعة ملوك اقوياء ، وتوحيد وادي الرافدين بكفيان بحدّ ذاتهما ، كمنجزين عظيمين ، لتمييز حمورابي كواحد من اعظم ملوك وادي الرافدين . ولكن حمورابي كان يجمع بين صفات القائد العسكري الناجح والسياسي المحنك ، كما تكشف عن ذلك اساليب معالجته لمنافسيه السياسيين ، وبين صفات الملك العادل الذي يتوازى عنده حب العدل مع شدة القصاص . وترينا مدوّناته اهتماماً اصيلا بازدهار رعيته ، واحتراماً عميقاً للميراث الحضاري للبلد .. »(٢)

ورغم المكانة الرفيعة التي كان عليها اسم حمورابي في بلاد الرافدين ، إلا انه لم تسلط عليه الأضواء ويحتل المكانة التي يستحق إلا عندما اكتشف الآثاريون في شتاء ١٩٠١ـ١٩٠٢ المسلة الحجرية لشريعة حمورابي . ويمكن تلخيص عظمة حمورابي في جانبين أساسيين ، هما :

١ ـ توحيد بلاد وادي الرافدين وحمايتها من الأعداء الخارجيين .

٢ ـ الظهور بمظهر الملك العادل الراعي لشعبه والباعث الخير في بلده .

WWW.ATTAWEIL.COM

فقبيل نهاية العـــام الثالث والاربعين لفترة حكمـه وخلال أعوام قليلة ، وبعد ان خاض صراعات وحروباً ، تمكن أن يضم كافة ارجاء وادي الرافدين تحت سيطرته، فهو يقول في خاتمة شريعته بفخر وإعتزاز :

« بالقدرة التي منحني إياها الإله مردوك ،
استاصلت دابر العدو من الشمال الى الجنوب
وانهيت الحرب وارحت البلاد
وجعلت سكان المدن ينعمون بالصفاء والهناء »(٣)

أما شريعته فتجسده كملك مجدد وسخي وعامل من اجل الخير ومحب لشعبه وبلاده :

« وفي احضاني حملت شعب بلاد سـومر واكد
وقد نعموا بحمايتي »

تقي يخشى آلهته ، اختارته العناية الإلهيـة ليوطد العدل في البلاد ، ويقضي على الخبث والشر ، وينصف الضعيف من القوي .. ومن أجل كل هذا وضع «دستور العدالة» (شريعته) بلسان البلاد «لتحقيق الخير للناس.»

يتوزع نص مسـلة حمورابي ، ثلاثة مقاطع (أجزاء) رئيسية هي : المقدمة وفيها ابـرز اعماله في المـدن التي خضعت لسلطانه مطريا آلهة هذه المدن ، وما نهض به من عمل « جعل الخير فيضا وكثرة » مشيراً بايجـــاز الى إخضاعه « جهات العالم الأربع » وكيف انه « ساعد على إظهار الحق » ووضع « الشعب في الطـريق المستقيم » وحزم المشـاغبين وجعل القاب الآلهة عشتار تشع في كل انحاء البلاد .

ثم يلي المقدمة ، نص الشريعة الذي اشتمل على٢٨٢ مادة تنظم الحياة الاجتماعيـة والسياسية والاقتصاديـة والعلاقات بين مختلف فئات الشعب . كل ذلك من اجل توطيد العـدل وتحقيق الأمن وشؤون الدفاع عن البلاد.. إنها باختصار « وفي تفصيلات عديدة ، تقترب ، وبشـكل يبعث على الدهشة ، مع تصورنا الحديث للعدالة .»(٤)

اما الجزء الثالث والأخير ، فهو الخاتمة . وكما هو واضح من الاقتباس الوارد في بداية هذه المقالة ، فقـــد جاءت « إنجازاً ادبياً رائعاً . » ينسجم انسجاماً تاماً مع الخصائص المعروفة للادب العراقي القديم ، وخاصـة فيما ذكره فيها من منجزات والقاب اسبغها على نفســه ، أو في تلك اللعنات التي صبها على رأس كل من يحاول ان يحرف او يحرق او لا يحترم ما جاء في المسلة من كلمات:

« واذا لم يتدبر ذلك الشخص كلمـــاتي التي كتبتهـا
على مسـلتي
وتجاهل لعناتي ولم يخش لعنات الآلهة
ومحا القوانين التي شرعتها
وابطل احكامي وغيّر شرائعي ،
ومحا اسمي ...») ..الخ
« عسى الآلهة عشتار ، سيدة المعارك والحروب ،
التي شـهرت اسـلحتي ، حاميتي الكريمة ، الفخـورة
بحكمي ،
ان تلعن مملكته بغضبها الكبير من قلبها الحانق ،
عسى ان تقلب نجاحه الجيد الى نجاح خبيث ،
عسى ان تحطم اسلحته في ميدان المعركة والحروب ،
عسى ان تخلق الفوضى وتثير عليه الثورات ،
عسى ان تجندل محاربيه ، وان تشرب الأرض دماءهم ،
عسى ان تجعل جيشه كومة من جثث فوق السهل ،
... الخ »(٥)

وبعد : إن كتاب (حمورابي ملك بابل وعصره) وإن كان مكرّساً في الأصل لحمورابي ، إلا انه في الحقيقة ، دراسـة مركزة تاريخيـة ، اجتماعيـة ، ادبيـة لعصـر حمورابي ، العصر البابلي القديم . هذا العصر الذي يعدّ من ازهى عصور بابل ، أو من عصورها الزاهية .

« ف . ك . »

الاشـارات

(١) الشرائع العراقية القديمة . د. فوزي رشيد . بغداد ١٩٧٩ – ص١٦٨
(٢) العراق القديم لجورج رو – ترجمة : حسين علوان حسين – بغداد ١٩٨٤ – ص٢٦٧
(٣) الشرائع العراقية القديمة : ص١٦٨
(٤) العراق القديم : ص٢٧٩
(٥) الشرائع العراقية القديمة : ص١٧١ ، ١٧٢